

٦ - حسن البنينا

الرجل القرآني

بقلم روبرج جاكسون

للاستاذ أنور الجندي

«يروى روبرج جاكسون في هذا الفصل قصة لغائه مع الشهيد البنا ،

في فبراير سنة ١٩٤٦ ، كنت في زيارة لقاهرة .. وقد رأيت أن أقابل الرجل الذي يتبعه نصف مليون شخص ، وكتبت في النيويورك كرونيكل بالنسبة :

«لا زرت هذا الأسبوع رجلاً قد يصبح من أبرز الرجال في التاريخ المعاصر ، وقد يخفى اسمه إذا كانت الحوادث أكبر منه ، ذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان . وقد صار الإخوان طاملاً مهماً في السياسة المصرية ، ويقال إن جملة الإخوان ٨٠ / من لجان المهال والطالبة الذين كانوا في طليعة الحوادث الصاخبة الأخيرة في مصر . ويقول الأستاذ البنا : إن حركة الإخوان فوق الأحزاب ، وسيلها هو العودة إلى القرآن ، وغايتها جمع كلمة المسلمين في كل أرجاء الدنيا

هنا ما كتبه منذ خمس سنوات ، وقد صدقتني الأحداث فيما ذهبت إليه ، فقد ذهب الرجل مبكراً .. وكان أمل الشرق في صراعه مع المستعمر ، وأنا أفهم جيداً أن الشرق يعلمح إلى مصالح يضم صفوة ، ويرد له كيانه ، وطالما رجا الكتاب والمفكرون الغربيون اقتراب اليوم الذي يتحقق فيه هذا الأمل

غير أنه في اليوم الذي بات فيه مثل هذا الأمل قاب قوسين أو أدنى ، انتهت حياة الرجل على وضع غير مألوف .. وبطريقة شاذة ا

هكذا الشرق لا يستطيع أن يحفظ طويلاً بالكثرة الذي يقع في يده ..

.. لقد لفت هذا الرجل نظري بصورته الفذة ، عندما

كنت أزور القاهرة بمد أن التقيت بطائفة كبرى من زعماء مصر ورؤساء الأحزاب فيها

كان هذا الرجل خلاب المظهر ، دقيق العبارة ، بالرغم من أنه لا يعرف لغة أجنبية . لقد حارل أتباعه الذين كانوا يتجمعون بيني وبينه أن يصوروا لي أهداف هذه الدعوة ؛ وأفاضوا في الحديث على صورة لم تقهمني

وظل الرجل صامتا ، حتى إذا بدت له الحيرة في وجهي ، قال لهم قولوا له شيئاً واحداً : هل قرأت عن محمد ؟ قلت نعم . قال : هل عرفت ما دعا إليه وصنعه ؟ قلت نعم . قال هذا هو ما يريد

وكان في هذه الكلمات القليلة ما أفناني عن الكثير مما حاول بعض أنصار البنا أن يقولوه لي

.. لفت نظري إلى هذا الرجل سمته البسيط ، ومظهره العادي ، وثقته التي لا حد لها بنفسه ، وإيمانه المجهيب بفكرته كنت أتوقع أن يحيي اليوم الذي يطار فيه هذا الرجل على الزعامة الشعبية ، لاني مصر وحدها ، بل في الشرق كله

وسافرت من مصر بمد أن حصلت على تقارير واقعية ضافية عن الرجل وتاريخه ، وأهدافه وحياته ، وقد قرأتها جميعاً وأخذت أطرن بينه وبين جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، ومحمد أحمد المهدي ، والسيد السنوسي ، ومحمد بن عبد الوهاب ، فوصلتني البحث إلى أن الرجل قد أفاد من تجارب هؤلاء جميعاً ، وأخذ خير ما بينهم ، وأمكنه أن يتفادى ما رغبوا فيه من أخطاء . ومن أمثلة ذلك أنه جمع بين وسيلتين متعارضتين ، جرى على إحداها الأفغاني ، وارتقى الأخرى محمد عبده

.. كان الأفغاني يرى الإصلاح عن طريق الحكم ، ويراها محمد عبده من طريق التربية .. وقد استطاع حسن البنا أن يدمج الوسيلتين معاً ، وأن يأخذ بهما جميعاً ، كما أنه وصل إلى ما لم يصلوا إليه ، وهو جمع صفوة المثقفين من الطبقات والشرافيات المختلفة إلى مذهب واحد ، وهدف محدد

ثم أخذت أتتبع خطوات الرجل بمد أن هدت من أمريكا وأنا مشغول به حتى أثير حوله فبار الشبهات حيناً ، مما انتهى

كان لا يهاجم خصومه ولا يصارعهم بقدر ما يحاول إقناعهم
وكسبهم إلى صفه ، وكان يرى أن الصراع بين هينين لا يأتي
بالنتائج المرجوة

وكان يؤمن بالمصومة الفكرية ، ولا يحولها إلى خصومة
شخصية ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من إيذاء معاصريه
ومناقضيه ، فقد أعلنت عليه الأحزاب حرباً عنيفة . . .

كان الرجل يتقن خطوات عمر وعلى ، وبصارع في مثل
بيثة الحسين ، فبات مثاهم شهيدا

وإنني على أتم يقين من أن أي حركة وطنية يمكن أن تظهر
في الشرق بعد ذلك يمكن إرجاعها إلى القاييس التي وضعها هذا
الرائد الملاق

ولا يستبعد أن تؤرخ به الحوادث بعد قليل . . .

لقد سمعت الكثير من خصومه ، وكان هذا طبيعياً ،
بل كان من الضروري أن يختلف الناس في رجل استطاع أن
يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس بـبحر حديثه وجمال
منطقه ، وقد انتعرت هؤلاء من حول الأحزاب والجماعات
والفرق الصوفية والقهوات ودور الأهل

وكان لابد أن يصبح هذا مثار حقد بعض الناس الذين
أدهشهم أن يستطاع هذا الرجل المتجرد التميز أن يجمع إليه
مثل هذا الشباب

ومن الأمور التي أفتت نظري أنه أخذ من عمر خصلة من
أبرز خصله ، تلك هي إبعاد الأهل عن مقام الدعوة ، فقد
ظل عبد الرحمن ومحمد وعبد الباسط ، وهم إخوته بعيدين عن
كبريات المناسبات ، وأطالما كان يحاسبهم ، كما كان عمر يحاسب
أهله وبضائع لهم القوية إذا قهرروا

وقد أتيت لي أن ألتقي بوالده الوقور ، الشيخ عبد الرحمن
البننا ، وسميته بتحدث مع بعض الإخوان . إنه كان يتمنى
لو أن ابنه وضع الكنف في أمر الإسلام واكتفى بذلك ؛ وقد
رد عليه الأستاذ البننا بأنه منشرج الصدر لمعالجة الإسلام عن
طريق إنشاء الجماعات وتأييف الرجال

إلى اعتقال أنصاره ، وهي مرحلة كان من الضروري أن يمر بها
اتباعه ، ثم استشهاده قبل أن يتم رسالته

وبالرغم من أنني كنت أسمع في القاهرة أن الرجل لم يعمل
شيئاً حتى الآن ، وأنه لم يزد على جمع مجرعات ضخمة من الشباب
حوله ، غير أن معركة فلسطين ، ومعركة التحرير الأخيرة في
القتال ، قد أثبتتا بوضوح أن الرجل صنع بطولات خارقة . . .
قل أن نجد لها مثيلاً ، إلا في تاريخ العهد الأول للدعوة
الإسلامية

وقد تقرر أن الرجل كان بعيد الأثر في كثير من الأحداث
المالية التي وقعت في الشرق ، بل إن ما وقع في إيران كان
خليقاً أن يقع في كل بلدان الشرق ، لو طال عمر هذا الرجل . . .
وكان يمكن أن يتحقق لهذه البلاد الكثير لو اتفق حسن
البننا وآية الله كاشاني على أن يزيل الخلاف بين الشيعة
وأهل السنة

لقد اتفق الرجلان في الحجاز سنة ١٩٤٨ ، وبيدوا أنهما
تفاهما ورسلا إلى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البننا
بالاغتيال

كل ما أستطيع أن أقوله في هذه المقدمة ، أن الرجل أفلت
من فوائد المرأة والنال والجماء ، وهي الخيرات الثلاث التي
سلطها المستعمر على المجاهدين ، وقد فشلت كل المحاولات التي
بذلت في سبيل إغرائه

وقد أعانه على ذلك صوفيته الصادقة ، وزهد الطيبين ،
فقد تزوج مبكراً ، وعاش فقيراً ، وجعل جاهه في ثقة أولئك
الذين التفوا حوله ، وأمضى حياته القصيرة المريضة بجانب
ليادين الشهرة الكاذبة ، وأسباب الترف الرخيص

وكان يتربح الأحداث في صبر وبلغتها في هدوء ، ويتعرض
لها في الطمئنان ، ويواجهها في جرأة

لقد شامت الأندلس أن يرتبط تاريخ ولادته وتاريخ وفاته
بمحدثين من أضخم الأحداث في الشرق ، فقد ولد عام ١٩٠٦
وهو عام دنشواي ، ومات ١٩٤٩ ، وهو عام إسرائيل

وكان الرجل مجيباً في معاملة خصومه وأنصاره على السواء ،